

المحاضرة السابعة: التفاعل الاجتماعي المدرسي

أهداف الدرس:

- أن يعزز الطالب مكتسباته القبلية حول التفاعل الاجتماعي؛
- أن يتعرف الطالب على مفهوم التفاعل الاجتماعي، خصائصه، وسائطه؛
- أن يتعرف الطالب على نظريات التفاعل الاجتماعي؛
- أن يتعرف الطالب على عمليات وأنواع التفاعل الاجتماعي المدرسي.

1. مفهوم التفاعل الاجتماعي

التفاعل الاجتماعي بشكل عام هو "عملية اجتماعية مستمرة أقطابها الأفراد وأداتها الرئيسية هي المعاني والمفاهيم". وهو علاقة متبادلة بين فردين أو أكثر، و يتوقف سلوك أحدهما على سلوك الآخر، أو على سلوك الآخرين. كما يمكن تعريفه بأنه "العلاقات الاجتماعية بجميع أنواعها التي تكون قائمة بوظيفتها". وهو يحدث عندما يتصل فردان أو أكثر، وينتج عن هذا الاتصال تعديل أو تغيير في السلوك.

ويعرف التفاعل الاجتماعي المدرسي بأنه "عملية إنسانية اجتماعية تربوية تعبر عن نمط العلاقات الإنسانية الاجتماعية التي يفرضها الأستاذ في الصف الدراسي" (إبراهيمي و بكاي، 2017). ويشمل هذا التفاعل الاجتماعي المدرسي ما يحدث بين المعلم والمتعلم، وبين المتعلمين مع بعضهم البعض، ويهدف إلى تحقيق بيئة تعليمية ناجحة.

2. خصائص التفاعل الاجتماعي

- يتميز التفاعل الاجتماعي بخصائص أساسية أبرزها ما يلي:
- وسيلة أساسية للاتصال بين الأشخاص والجماعات في المجتمع الواحد، والمجتمعات الأخرى.
- منبر لتبادل الأداء الفعال في المواقف الاجتماعية المختلفة.
- أساس لظهور مهارات وقدرات شخصية تتوزع على أساسها القيادات والأدوار والمراكز والجماعات داخل الجماعة الواحدة بصورة تعكس التمايز في تركيب الجماعة.
- مصدر لتحديد السلوك الفردي المطلوب أو المتوقع للأشخاص في المواقف الاجتماعية، وبالتالي تحديد النمط الشخصي لكل عضو في الجماعة.

- نوع من الالتزام السلوكي لكل شخص بصورة تمكن من التنبؤ بهذا النوع من السلوك، أو ذاك.

3. وسائط التفاعل الاجتماعي

إن عمليات التفاعل الاجتماعي تتم عبر وسائط مختلفة ومتنوعة يمكن تصنيفها إلى نوعين رئيسيين::

1.3. **الوسائط اللفظية:** وتظم الكلام الذي يدور في نطاق اللغة المستخدمة بأشكاله وأنماطه المختلفة من قبيل إعطاء تعليمات، طرح أسئلة، إلقاء معلومات وأفكار، مدح وثناء، نقد وهجاء، شرح وإلقاء أوامر وتعليمات... الخ.

2.3. **الوسائط غير اللفظية :** وتظم كل ما هو غير لفظي وكل ما يشكل مثيرا ومنبها لاستجابات سلوكية مختلفة تسهم في إحداث عملية التفاعل الاجتماعي وتنشيطها مثل حركات الجسم والأطراف والإيماءات بالجسم والرأس واليدين وتعبيرات الوجه والملابس والألوان والأصوات غير الكلامية والاقتراب والابتعاد والملامسة الجسدية كالمصافحة وغيرها واستخدام الأدوات والأجهزة والروائح المختلفة.

4. عمليات التفاعل الاجتماعي المدرسي:

نتيجة لحدوث التفاعل الاجتماعي بين أعضاء الجماعة التربوية، تنشأ العمليات الاجتماعية فيما بينهم. وتختلف العمليات الاجتماعية التي يقوم بها أعضاء الجماعة التربوية في طبيعتها ومظهرها، فمنها ما يؤدي إلى التجاذب والترابط كعمليات التعاون والاندماج ومنها ما يؤدي إلى التنافر والتفكك كالمنافسة والصراع.

1.4. **التعاون:** يعد التعاون مظهرا إيجابيا من مظاهر التفاعل الاجتماعي ويعكس التأثير المتبادل بين الأفراد والجماعات من أجل أداء عمل معين أو تحقيق هدف مشترك، وبهذا يتعلم الفرد عن طريق التعاون الكثير من أنماط السلوك الاجتماعي اللازم لعملية التكيف الاجتماعي. وهو أحد العمليات الاجتماعية الإيجابية لأن التعاون في معناه الحقيقي التكامل بين الأدوار وهو عملية تقوية واتحاد وعملية بناء وتدعيم وعملية مجاهدة بالمشاركة مع الآخرين من أجل تحقيق الخير أو الهدف المنشود. هي العملية الاجتماعية التي يتم عن طريقها محاولة أعضاء الجماعة التربوية تحقيق أهدافهم من خلال المساعدة المتبادلة، وهذا بحد ذاته يتصل بالحياة الاجتماعية التي تتميز بوجود قوى مختلفة تعمل على اتصال أعضاء الجماعة التربوية بعضهم ببعض. وهذا يؤدي إلى التعاون، فالأفراد عندما يتصلون ببعضهم البعض داخل الجماعة ويعملون معا من أجل تحقيق هدف مشترك يطلق عليه سلوكا تعاونيا. وكلما كانت هناك علاقة تعاونية أدى ذلك إلى زيادة التماسك بين أعضاء الجماعة وقد تم التحقق من ذلك من خلال تكوين جماعتين جماعة تعاونية وأخرى تنافسية. وقد تم التوصل إلى أن الجماعات التعاونية أظهرت العديد من علاقات التماسك حيث تميزت بالود بين أفرادها وتقبل كل منهم الآخر بكل سهولة.

2.4. الاندماج: هذا المفهوم الذي يدل على التوافق والتلاؤم الاجتماعي داخل الجماعة التي ينتمي لها الفرد، أي قدرة الفرد على إقامة علاقة اجتماعية ناجحة، فأى طرف في الجماعة التربوية يعتمد على قدرته في بناء شبكة من العلاقات التي تكون قائمة على التفاعل الإيجابي، فالتوافق الاجتماعي يعرف بأنه " بأنه قدرة الفرد على إقامة علاقات مع الآخرين مثمرة وممتعة وتنسم بقدرة الفرد على الحب والعطاء، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى القدرة على العمل الفعال الذي يجعل الفرد شخصا نافعا في محيطه الاجتماعي .

ويسعى المربي إلى الاتصال والتواصل مع زملائه وأيضا مع التلاميذ وأيضا التكيف والتوافق مع الأولياء والمشرفين ولا يتوقف على الأشخاص فقط بل التكيف مع الوسائل والمناهج أي كل ما يتعلق بالبيئة المدرسية فيتجاوز بهذا التصرف السليم كل سبب قد يؤدي إلى الصراع، فالمعلم أو المربي الناجح هو الذي يتجاوز مشكلاته الشخصية والسعي في الاندماج نحو الجماعة من أجل توحيد الهدف الذي تسعى له المدرسة. وغالبا ما نجد أن المعلم يتفاعل باستمرار مع المدير و مستشار التربية ومستشار التوجيه ومع زملائه في العمل خاصة الذين يتشارك معهم نفس المادة الدراسية.

3.4. الصراع: وكما يحدث الانسجام والتوافق بين الفاعلين في الجماعة التربوية فإنه يحدث الصراع والنزاع أيضا. وقد يتكرر في مواقف عديدة كالاختلاف في اتخاذ القرار، أو الدفاع على فكرة ذاتية يرى أصحابها أنها تساهم في خدمة التلميذ أو المدرسة، كعدم الاتفاق حول تشكيل الفوج التربوي مثلا. ومن العوامل المؤدية للصراع استعمال السلطة بمعناها التسلطي وأيضا بعض الصفات كالأنانية أو الغيرة وكل مظاهر العنف. إلا أن الهدف التربوي يجعل الجماعة تتجاوز الاختلافات وتحولها إلى أفكار تخدم التلميذ. يرى علماء النفس الاجتماعي أن النزاع والصراع من أهم العمليات الجماعية وتقابل عمليات التعاون بين الأفراد، وبالتالي فإن أعضاء الجماعة يمرون بهذه المواقف خلال العملية الجماعية وأثناء عمليات النمو التي تتم داخل الجماعة، فالصراع داخل الجماعة التربوية يساهم في نموها وتغيرها، فالاختلاف في الأفكار يولد أفكار ومبادئ جديدة تتناسب مع القيم والمعايير المشتركة للجماعة التربوية . وإن الصراع الذي لا يؤدي إلى تنافر و تزمّت في الرأي وإنما الاختلاف في وجهات النظر حول بعض القضايا التربوية التي تتعلق بالتلميذ خصوصا.

4.4. التنافس: التنافس من منظور سيكولوجي هو إشباع حاجات الإنسان من الأمن وتقدير الآخرين وشكل من أشكال التفاعل الاجتماعي. فكما يلجأ أعضاء الجماعة التربوية إلى التعاون في إنجاز هدف معين، فإنهم يلجئون إلى المنافسة بينهم، خاصة في أداء أدوار معينة، أو استظهار قوى ومهارات معينة كالقيام ببعض المبادرات كالشاركة في الأنشطة الثقافية والرياضية والمسابقات العلمية و قد تكون منافسة داخل الجماعة التربوية أو المنافسة مع جماعات في مؤسسات تعليم أخرى، ويتعلق الأمر بإظهار قدرة بناء علاقات حسنة، واستعطاف تأييدهم ويرتبط ذلك بظاهرة الشعبية

داخل الجماعة. وهذه المهمة هي من أهم الوظائف الأساسية في حياة الفرد، خصوصا في الطفولة والمراهقة. كما أن الفشل في المنافسة وبناء العلاقات مع أعضاء الجماعة، هو في حد ذاته يشكل مخاطرة كبيرة في التعاون مع الجماعة، وإحراز تأييدهم وقبولهم الاجتماعي.

5. أنواع التفاعل الاجتماعي المدرسي

تتعدد أنواع التفاعل الاجتماعي التي تحدث في البيئة المدرسية، وتتخذ أشكالا مختلفة تؤثر على ديناميكية العلاقات بين أفراد المجتمع المدرسي. من أبرز هذه الأنواع:

1.5. التفاعل بين المتعلم وأقرانه: إن التفاعل داخل الصف الدراسي لا يقتصر على تفاعل المعلم مع المتعلم فقط. بل هناك تفاعل بين المتعلمين أنفسهم، أو ما يُعرف بـ تفاعل المتعلم والمتعلم، أي مع أقرانه داخل الصف الدراسي. فالتفاعل بين المتعلم وأقرانه يؤثر في العلاقات الاجتماعية والصداقات والنمو الاجتماعي، ويكون لهذا كله أثره على مستوى التحصيل العلمي للمتعلم.

إضافة إلى تحديد سلوكه العام داخل المدرسة، بل خارج المدرسة حيث يكون الولاء والانتماء للأفراد والأصدقاء المتقاربين في أفكارهم وفي بنائهم الاجتماعي والثقافي.

وتؤدي جماعات الأقران دورا مهما في حياة المتعلم، حيث:

- أ. يتبعن للمتعلم ممارسة علاقات يكون فيها على قدم المساواة مع الآخرين في مثل سنه. في حين يكون مركزا ثانويا في علاقاته مع الراشدين.
- ب. توفر للمتعلم فرصة اكتساب مكانة خاصة به، وتحقيق هوية (ذاتية) متميزة، تمكنه من جعل أنشطته محور اهتمام أقرانه.
- ت. تشكل مصدرا وفيرا للمعلومات غير الرسمية، التي لا تتناولها الموضوعات المدرسية عادة، كالألعاب، والتقاليد الشعبية، وأساليب الإشباع ... إلخ.
- ث. تزويد المتعلم بفرض اكتساب الشجاعة والثقة بالنفس، نظرا للتأييد والدعم الذي يلقاه من أقرانه، وذلك يساعده على الاستقلال الذاتي وعدم الاتكال على الآخرين.

وفي السنوات الدراسية المبكرة، تؤدي جماعات الأقران دورا بالغ الأهمية في التنشئة الاجتماعية للطفل ونموه الاجتماعي، بحيث يغدو الطفل أقل انعزالا وأكثر اجتماعية وميلا لإنشاء علاقات اجتماعية متساوية مع أقرانه. وقد يواجه الأطفال صعوبات لا تمكنهم من إنشاء الصداقات أو الاحتفاظ بها داخل المدارس والعلاقات بين الأقران ليست بالضرورة تكون علاقات إيجابية، فقد تكون علاقات سلبية تعمل على تأخير النمو، حيث تصيب بعض الصغار بالانعزال أو المرض من المدرسة، والانحرافات السلوكية داخل المدرسة وخارجها وأكثر جوانب الحياة المدرسية سلبية وتعقيدا وإشكالا. هو الجانب المتمثل في السلوك العدواني الذي يمارسه بعض الصغار نحو أقرانهم في المدرسة.

وقد تكون النزعة العدوانية متأصلة لدى المتعلمين العدوانيين، ما يجعل دور البيئة المدرسية ضعيف الأثر من حيث تعديل هذا السلوك. فالمتعلم الذي يتسم سلوكه بالعدوانية قد يكون عاديا من حيث التحصيل المدرسي، وقد لا يعاني إحباطا أو فشلاً غير عادي في وضعه المدرسي، وإنه غير قلق وواثق بنفسه ومؤكد لذاته.

ومن ثم، فليس بالضرورة أن تكون المدرسة، تشكل دورا رئيسا في تكوين النزعات العدوانية عند المتعلم العدواني، بل إنه يحمل النزعات العدوانية معه إلى المدرسة والدور الذي تؤديه المدرسة آنئذ محاولة كف هذا السلوك، بتعديله إلى سلوك سوي.

2.5. التفاعل بين المعلم والمتعلم: تركز العملية التعليمية على محورين رئيسيين هما المعلم والمتعلم، فالاتصال بينهما دائم وتفاعلهما مستمر داخل الفصل الدراسي مما ينتج عنه علاقات متبادلة وقد كشفت الدراسات أن هذه العلاقة تتعدى التحصيل الدراسي إلى الجوانب السلوكية والأوضاع الاجتماعية المستقبلية، فقد بينت بعض الدراسات وجود علاقة إيجابية بين فعالية المعلم والنجاح في الحياة الإرشادية للمتعلم .

تعد العلاقة بين المعلم والمتعلم من أهم العلاقات القائمة في المحيط المدرسي وأغدها في آن واحد، فالمعلم مطالب بتحقيق النظام داخل الصف الدراسي، وكان التصور الشائع قديما أن المعلم هو محور العملية التعليمية، فغالبا ما يلجأ إلى العقاب كوسيلة لحفظ النظام، ومن المؤكد أن هذا الأسلوب ساهم في تخريج بعض الشخصيات الانهزامية إضافة إلى ظهور بعض الأمراض الاجتماعية كالنفاق، الغش، التملق، الأنانية، الجبن، والكذب.

3.5. التفاعل بين الجماعة التربوية ككل: الجماعة التربوية هي كل عضو فاعل ومكون للعملية التربوية، ويؤكد على وحدة الجماعة لتأدية العمل والسعي نحو تحقيق الهدف المنشود، وتتشكل الجماعة التربوية من التلاميذ وكل الأشخاص الذين يساهمون بطريقة مباشرة وغير مباشرة في تربية وتكوين التلاميذ في الحياة المدرسية وفي تسير المؤسسات المدرسية. تتفاعل الجماعة التربوية من خلال العلاقة الاجتماعية والتربوية التي تربط بين أعضائها، وهذا التفاعل يشكل الجانب الحيوي للمدرسة. كما أن التفاعل الإيجابي بين أعضائها هو بمثابة تنشيط وتحفيز كل فاعل للقيام بأدائه وهذا بدوره يحقق الهدف التربوي الذي شكلت من أجله الجماعة التربوية.